فكل هذه الشواهد تنطق بلسان حالها عن اعتبار الماسونية للعيشة العائلية . فالويل ثم الويل لمن يلقي بنفسه بين مخالبها (له بقية)

لا يمكن ولا يجوز
ان تكون المدارس علمانيّة بلا دين

نظر فلسفي للاب لويس شيخو اليسوعي

علمتَ حفظك الله من مقالتنا المعنونة « المدارس العلمانيّة والاديان » (في المشرق ص٦٢٠) ان المدارس اللادينيّة — مهما زعم اربابها — تعادي كل اديان الشرقيين وتنسف معتقداتهم نسفًا بانكارها لوجود الخالق وخلود النفس ووقوع الوحي والثواب والعقاب . اثبتنا ذلك من نفس الكتب التي يتّخذها اصحاب تلك المدارس كدستور لتعليم طلبتهم الآداب فانتزعنا منها عدّة نصوص تنفي الحقائق الدينيّة التي يتّفق في صحتها النصارى والمسلمون واليهود على سواء

وها نحن الآن نوسّع نطاق هذا البحث فنبيّن من وجه آخر انّ منشئي المدارس العلمانيّة لا يمكنهم ان يحترموا جميع الاديان ويجعلوا تعليمهم مستقلًا عن كلّ دين كما يزعمون وهذه المرّة نضرب الصفح عمّا يُعلّمهُ اولئك الاساتذة وانّما نبحث بحثًا نظريًا فقط فنقول : اوّلًا ان المدارس العلمانيّة لمجرّد استقلالها عن التعليم الديني هي معادية ضرورةً للدين . اعني انهُ لا يمكن مطلقًا ان تتجرّد المدرسة عن الدين دون ان تعاديهُ . وثانيًا اذا افترض انّ مدرسة يمكنها الحياد عن الدين تمامًا فلا يجوز لها ذلك نظريًا وادبيًا وان فعلتْ اقترف اصحابها اثمًا كبيرًا

١ من المستحيل ان تجيد المدارس العلمانيّة عن الدين دون معاداته

ليس الكلام هنا عن بعض المدارس الخصوصيّة العالية التي يقتصر اصحابها على تعليم العلوم النظريّة كالرياضيات والجبر والهندسة او العلوم الفلكية كالهيئة والنجوم او العلوم الجغرافية او اللغوية لاسيما اذا كانت تُلقى تلك الدروس في نوادٍ عمومية كما هي

العادة في الكليات على مسامع شبان في مقتبل العمر او حضور احرار يتصرفون باعمالهم كما يشاؤون فيحذرون من تحامل المعلمين على الدين

وانما نتكلم عن المدارس الاولية والثانوية داخلية كانت او خارجية مما اخذ اربابها على تعوسهم ان يقوموا بتعليم الولد وتهذيب عقله وترويض اخلاقه وتخريجه في الاداب الحسنة ومواصلة التربية البيتية التي باشر بها ابواه فلم تسمح لهما الاشغال بانجازها فيعهدان بذلك الى المدارس لينوب اصحابها عنهما ليس في التعليم فقط لكن في التهذيب الذي لا ينفصل عنهُ . فنقول انَّ هذه المدارس لا يمكنها ان تضرب الصفح عن الدين بل تدكَّ اركانهُ شاءت ام ابت وهذه براهيننا:

١ انَّ الولد اذا بلغ سنَّ الرشاد وانجلت عن عقله غياهب الجهل وجَّه من وقته نظر بصيرته الى ذاته فيرى جسده مع كلّ مشاعره وحواسّه المختلفة . يشعر بنفسه التي منها ينال النموّ والحسّ والحركة . يدرك ما في تلك النفس من القوى العجيبة كالفهم والنطق والارادة بينما يرى الحيوانات العجماء خالية من ذلك . يسمع في باطن قلبه صوتاً سرّياً يردعهُ عن فعل الشر ويسوقهُ الى عمل الخير . فيخطر على بالهِ لا محالة ان يطلب سبباً لكل ذلك ليعرف من هو علّة وجوده وما اصلهُ ومن غرس في قلبه تلك الشواعر . فهما يبالغ في البحث تزيد رغبتهُ في حلّ هذه المشاكل . واذ يرى بقربه معلميه واساتذته الذين وُكلت اليهم تربيتهُ فلا بدَّ ان يعرض عليهم الاسئلة في كلّ ذلك . فماذا يكون رعاك الله جواب اولئك المهذبين ان كان تعليمهم مستقلاً عن الدين ؟ فان اجابوه انهم لا يعلمون زادوه ريباً وعذاباً وان انكروا عليه وجود الخالق كما ورد في كتبهم اوقعوه في وهدة الكفر

٢ وكما يريد الولد ان يعرف سبب وجوده يتوق الى معرفة مصيره فيجول في فكره امرُ نفسه . فليت شعري ما هذه النفس وما تركيبها ؟ أهي قسم من جسدي هيولية مثلهُ ؟ ولكن كيف تعقل وتفهم ؟ واذا مات الانسان هل تموت معهُ النفس وتضمحلّ ؟ ألا يبقى شيءٌ منهُ بعد موته كالهرة والكلاب التي تُلقى على المزابل ؟ فان بقي ماذا يحلُّ بهِ ؟ وان نفنى كلّنا ونتلاشى فما لنا نجهد نفسنا « فلنأكل ونشرب فانّا نموت غداً » (اشعيا ٢٢ : ١٣) . فقل لي ناشدتك الله ان كان الولد في مدرسة علمانية مستقلة عن كلّ تعليم ديني ولا يوجد احد يكشف لهُ اسرار حياته بل يتكرون امامهُ خلود النفس

(كما ورد في كتب تعليم هذه المدارس) أيكون فعلهم هذا حياداً عن الدين او ليس هو بالاحرى معاداةً للدين ؟

٣ انّ الولد لا يقصر نظرة على نفسه الكنهُ يرى حولهُ عالماً كبيراً : سماء مرصّعاً بالنجوم الساطعة . ارضاً منمّقة بالازهار المعطرة . بحوراً زاخرة جبالاً راسية شمساً نيّرة بدراً منيراً . فهل صنع او قام او قعد وجد الطبيعة في طريقه فما هذه الطبيعة ؟ ومن اخرجها الى حيّز الوجود ؟ اوليست هي دهريّة ؟ ولعلها تسود عليه وتحكم على اعماله . فلولا الشمس لمات برداً وعاش في الظلمة . فما لهُ لا يعبد الشمس ؟ فماذا يصنع ارباب المدارس اللادينيّة ليزيلوا هذه الشبهات . ان قالوا انهم لا يعلمون خدعوا الولد بمذهب اللاادريين وان نكروا وجود مبدع الكون زال حيادهم المزعوم وزجّوا بالولد في اعماق الكفر

٤ تعرض للولد منذ حداثة سنه كما يعرض لبقيّة البشر في حياتهم مشاكل تشغل فكرهُ ولا تدع لهُ راحة ريثما يحلّها . بخصوص نفسه أهي مادّية او روحيّة زائلة او باقية زمنيّة او مخلدة ؟ . بخصوص الشريعة ايكون الانسان حرّاً يقول ويفعل ما يشاء او هو مقيّد بالشرع وبمشيئة مشترع يقضي عليه بالعمل ؟ . بخصوص رؤسائه الروحيين والزمنيين ألهم عليه حقوق ام لا ؟ . هذه واشياء كثيرة اخرى تنخس قلوب البشر منذ صغرهم وتبقى فيها كالاشواك ما لم يُزلها تعليم المعلم وتهذيب المدارس . فان كان هذا المعلم يعدُّ كل ذلك من الخرافات ويضرب الصفح عنهُ افليس هو المسئول عمّا يطرأ على الولد في حياته من اسباب التنوط ؟ وان تنازعتهُ الاهواء كسفينة لا دفّة لها وألقتهُ في تيّار الالحاد وفي لجج الكفر واسلمتهُ دون سلاح الى مذاهب المادّيين والاشتراكيين والفوضويين ألا تكون هذه العاقبة نتيجة تعليمه اللادينيّ ؟

٥ انّ اولاد المدارس العلمانيّة كغيرهم مهما صمّوا آذانهم سوف يسمعون اسم الله عزّ وجلّ او يقرأونهُ في بعض الكتب وكذلك يطّلعون على اخبار خلقة العالم وسير الانبياء واشياء كثيرة اذا سكت عنها المعلمون لا يمكن للاولاد ان يجهلوها . فماذا يقول عن ذلك كلهِ ارباب المدارس العلمانيّة افليس يدرجونها في سلك الخرافات التي لا اصل لها فيحيدون عن الاستقلال الذي زعموه ويعادون الدين ؟

٦ ثم انّ الولد اذا ترعرع لا يلبث ان يشعر في قلبه بتلك الاهواء التي تتنازع نفسهُ فتحملها تارةً الى اليمين وتارةً الى الشمال . يحملهُ صوت الضمير الى عمل الخير لكنّ

الشرّ يقوى عليه ويجذبهُ. فيا ترى من يستطيع ان ينصرهُ على ناموس الشرّ الذي في اعضائه وينقذهُ كما يقول بولس الرسول (روم ٧: ٢٤) من جسد الموت وناموس الخطيئة؟ او كيف يساعدهُ اساتذة المدارس اللادينيّة في ذلك الجهاد الذي تؤدي فيه الكسرةُ الى العطب والدمار. افيقولون لهُ: لازمْ شرفَ نفسك؟ فما هذا الشرف ومن الذي يقضي بهِ عليَّ؟ فان كان لا اله يثيبني على حسن العمل ويعاقبني على سوء الفعل فكل الاعتبارات البشريّة باطلة لا تمنعني عن شيءٍ من الآثام: الزنى الخلاعة السرقة القتل وبقيّة المحظورات. اما الشرف فيستطيع الانسان ان يصونهُ بالمراء وكم شريف في اعين البشر هو اثيم شرّير في اعين الله وفي اعين نفسهِ!

٧ وان تورّط الولد لضعفهِ في الاثم والعادات السيّئة واستسلم لاهواء قلبهِ فكيف يقيهُ اصحاب المدارس العلمانيّة ويعيدونهُ الى طريق الفضيلة التي جار عنها ويحرّكون في قلبهِ الندامة على فعلهِ. أفلا يعجزون عن ذلك ما لم يلتجئوا الى الدين العامل الوحيد في قلب الانسان للانابة الى الله. كما انهم لا يستطيعون البتّة ان يلهموهُ الصبر في اوجاعهِ او ينهضوا همّتهُ في فشلهِ وعدم نجاحهِ او يقوّوا في عضدهِ عند بطرهِ واشرهِ

وخلاصة القول انَّ المدارس اللادينيّة على رغم من انفها لا تستطيع الحياد عن الدين فاماً تعاديهِ واماً تقرُّ بمناصرتهِ

٢ لا يجوز للمدارس الدينية الحياد عن الدين وان امكنها الحياد عنهُ بالتمام

ولكن هَبْ انَّ المدارس الدينيّة تستطيع ان تجهل تماماً واجبات الدين وتضرب صفحاً عن التعليم الديني أفيجوز لها ذلك في نظر العقل وفي جانب الادب. كلّا ثم كلّا

أ قال الكتاب (١ يوحنّا ١: ٥): انَّ الله نور ليس فيهِ ظلام البتّة. وهذا النور الباهر يتجلّى للانسان في كل حركاتهِ وسكناتهِ يلوح لهُ في باطن نفسهِ كما يظهر لهُ حولهُ في الطبيعة التي تحدق بهِ. فان رفع نظرهُ الى السماء نطقت السماء بمجدهِ تعالى وان شخص الى الشمس ضعف نورُها عن نور وجودهِ تبارك وتعالى. فان كان الامر كذلك فكيف يجهل اصحاب المدارس العلمانيّة كيان الخالق؟ او ليس بسكوتهم عنهُ اثماً فظيعاً ولو امكنهم الحياد عن الدين؟ وان تجاهل اصحاب تلك المدارس كأنَّ الله لا يستحق اعتباراً في اعينهم أفلا يأتون عملاً منكراً؟ وقل مثل ذلك عن تلك القضايا الدينيّة التي يحتاج اليها كل انسان لتدبير نفسه ولصونها عن الاثم وتزيينها بالفضيلة فان اخفاءها

لارباب المدارس عن طلبتهم عرّضوا بهم الى فساد الاخلاق وتلك الطامّة العظمى

٢ انّ المعارف البشريّة والعلوم الادبية لا يمكن ان يتعمّق فيها الانسان دون ان يجد علاقةً بينها وبين مصدرها الاوّل وركنها الثابت الذي هو الله تبارك اسمهُ لأنهُ تعالى هو اله العلوم (١ ملوك ٢:٣) كما هو خالق الكون فليس علمٌ الّا يصدر عنهُ وينتهي اليهِ. فمن جهل الله او تجاهل ألّا يهين عزّتهُ ويعترف جرماً بسكوتهِ عنهُ؟ بلا مراء. ألا ترى كيف يُطرى البشر فضل عالم كبير اكتشف شيئاً من قوانين الطبيعة واسرارها المجهولة فما قولك باله الطبيعة الذي وضع تلك القوانين العجيبة واودع الكون تلك الاسرار أيجوز لن يُنبَذ نبذ النواة فيُعتبر كلا شيء. فيا لله اي اثم اكبر من هذا؟

٣ ليس الله فقط مبدع الكون واصل كل المعارف لكنّهُ ايضاً ربّ الارباب وسيّد السادة الذي لمشيتهِ يخضع كل ما في السماء وعلى الارض لانهُ لم يخلق العالم الّا لمجدهِ كما انهُ لم يبرئ الانسان من الدم الّا ليسبّحهُ ويخدمهُ. فكيف يستطيع ارباب المدارس اللادينيّة ان يذكروا واجبات الولد نحو اهلهِ ومعلّميهِ ورفقتهِ وينسوا حقوق الخالق على عبادهِ؟ أفلا يستحقّون ان يسمعوا تقريع الله لبني اسرائيل اذ نسوا خدمتهُ (ملاخي ١:٦): «الابن يكرم اباهُ والعبد يكرم سيّدهُ فان كنت انا ابًا فاين كرامتي؟ وان كنتُ سيّدًا فاين مهابتي؟». وهذا اللوم ينال جميع البشر فكم بالحري اولئك الذين تعهّدوا بتربية الصغار ليقفوهم على واجباتهم فكيف يهملون الواجب الاوّل الذي يلزم المرء نحو ربّهِ والهِ؟. انيشمل العدل جميع المخلوقات فيُعطى كلٌّ حقّهُ الّا الله كأنّهُ لا حقّ لهُ على مصنوعات يديهِ؟

فما اصدق ما قالهُ الكردينال لوسون في منشور اذاع قطعاً منهُ البشير في عددهِ الاخير الصادر في ٢٧ آب حيث قال:

«لا يمكننا ان نقبل الحياد الذي يرفض الدين ويحتقرهُ الى حدّ انهُ يعتبرهُ كشيء لا طائل تحتهُ فلا يستحق ان يكون من جملة موادّ التعليم . . . ولهذا نعدّ هذا الحياد شرًّا كبيرًا

«انهُ شرّ لانهُ يعاكس حقوق الله الذي ينبغي ان يكون لهُ المقام الاوّل في كلّ مكان ولا يسعنا ان نلزم الحياد نحوه. انهُ شرّ لانهُ يعاكس ما للوالدين من الحقوق في

تربية بنيهم تربية توافق معتقدهم الديني . انهُ شرّ لانهُ يعاكس ما للولد من الحق في ان يتهذب ويتعلم في مدرسة تكون لهُ بمثابة العائلة يقوم اصحابها مقام الوالدين في علم هو اشرف العلوم واشدّها ضرورة . انهُ شرّ لانهُ يعزل عن الدين لا يتسنّى تربية رجال صالحين فاضلين تحتاج اليهم العائلة والهيئة الاجتماعيّة والحكومة . انهُ شرّ لان الغاية منهُ كما صرّح ذووه انما هي دكّ صرح الدين في وطننا »

هذا ما قالهُ نيافة الكردينال لوسون ونعدّ كلامهُ كسلك ختام هذه النبذة الوجيزة

(6) كتاب الهَمْز

عن ابي زيد سعيد بن اوس الأنصاري

رواية الشيخ ابي الفضل عُمَر بن عبيد الله بن البقّال

عن ابي الفتح محمّد بن احمد بن ابي الفوارس الحافظ

توطئة

مرّ بنا في عامنا الماضي (في المشرق ١٢ : ١٦١) مجموعاً قديماً خُطّ سنة ٦٤٩ هـ (١٢٥١م) وقف على مقاتيح الحسن بن محمّد الشهير بالصغّاني فاجازهُ . وهذا المجموع كان يتألف من ستّة آثار منها لغويّة ومنها ادبية تبلغ ٣٠٠ صفحة لكن بائعهُ الدمشقي اعلا بالربح انفرد كل اثر وحدهُ ولحسن الطالع امكن حضرة الاب انستاس الكرملي ان يقتني هذه الاقسام المنفرطة فلطّف واوقفنا عليها . فنشرنا منها اثرين اعني ديوان السؤل في (المشرق ١٢ : ١٦٤—١٧٨) وكتاب فضائل الكلاب لابن المرزبان (١٢ : ٥١٥—٥٢٣) . وها نحن اليوم ننشر اثراً ثالثاً من هذا المجموع اعني كتاب الهَمْز لابي زيد سعيد بن اوس الانصاري وتآليف ابي زيد كلّها عزيزة لم يُنشر منها غير النوادر جمعَ الشيخ اللغوي سعيد الشرتوني . وكتاب المطر واللباء واللبن نشرناها في المشرق ثم طبعناها في مجموعنا « البلغة في شذور اللغة » (ص٩٩ و ١٤١) . وكتاب الهمز من الآثار الجليلة التي ذكرها الحاج خليفة في كشف الظنون (٥ : ١٧٢ من طبعة لندن) وكانت يد الضياع اخذتهُ لولا اكتشاف هذه النسخة الفريدة . وقد ذكر الحاج خليفة كتابين آخرين في الهمز للاصمعي ولقطرب وهما مفقودان . اما كتاب ابي زيد فيبلغ في الاصل ٤٨ صفحة وفي الصفحة ١٥ سطراً . وكان في مقدّمة الآثار الستّة التي ذكرناها يبتدئ بالصحيفة السادسة وكان لهُ في